الأدب الحديث

المحاضرة الثامنة

– مدرسة أبولو–

ا – مدرسة أبولو:

نشأت هذه المدرسة سنة 1932 في القاهرة على يد جماعة من الشعراء و الأدباء و النقاد ، اتفقوا على ميلاد مدرسة جديدة في الشعر بريادة الدكتور أحمد زكي أبو شادي ؛ و هي مدرسة أبولو ، و تظم هذه المدرسة في صفوفها أحمد محرم و إبراهيم ناجي و علي محمود طه و كامل الكيلاني و أحمد ضيف و أحمد الشايب و محمود أبو الوفا ، و حسن كامل الصيرفي ، و غيرهم.

اختير أمير الشعراء أحمد شوقي رئيسا لهذه المدرسة ، غير أنه وافته المنية بعد أشهر ، ثم أسندت الجماعة رئاستها إلى الشاعر خليل مطران كما أسندت منصب الوكالة إلى أحمد محرم شاعر العروبة و الإسلام ، ثم أصدرت الجماعة مجلة تحمل اسمها و تذيع أدبها و تدافع عن مبادئها ، و كانت أول مجلة خاصة بالشعر و نقده ، ويكشف الشاعر أبوشادي عن هدفها في صدر العدد الأول : نظرا للمنزلة الخاصة التي يحتلها الشعر بين فنون الأدب ، و لما أصابه و أصاب رجاله من سوء الحال ، بينما الشعر من أجل مظاهر الفن ن و في تدهوره إساءة للروح القومية ، لم نتردد في أن نخصه بهذه المجلة ...و في الختام يقول : و كلما كانت الميثولوجيا الإغريقية تتغنى بأبولو للشمس و الشعر و الموسيقى ، فنحن نتغنى في حمى هذه الذكريات التي أصبحت عالمية بكل ما يسمو بجمال الشعر العربي و بنفوس شعرائه[1] . و من ثم فإن اختيار هذه الجماعة لاسم أبولو جاء موافقا لما ذهبوا إليه من تحرر في انطباعاتهم الفنية و تأثرهم بالمذاهب الفنية المعاصرة في أوربا[2].

*** نشأة أبولو و نشأة الرومانسية الغربية :**

نادى أحمد زكي أبو شادي بضرورات التجديد في الشعر العربي و جرى في أثره بعض الشبان الذين سبق ذكرهم ، و لكنهم لم يعيشوا في مذهب أدبي موحد ينظمون فيه بل توزعتهم الاتجاهات المختلفة ، و ظل بجانبهم فريق يتمسكون بالإطار القديم و منزع شعراء النهضة .

يلاحظ أن موجة حادة من النزعة الرومانسية غلبت على كثير من الشعراء حينئذ و لم يكن مبعثها اطلاعهم فقط على نماذج الجيل الجديد و شعراء المهجر الأمريكي الشمالي و شعراء لبنان ، بل كان مبعثها الحقيقي أن مصر كانت في ذلك العهد الذي ظهرت فيه هذه الجماعة ن حلقة من حلقاتها التاريخية في العصر الحديث ، و هي حلقة فقد فيها الشعراء حرياتهم بسبب الظروف السياسية التي كانت سائدة آنذاك ؛ حيث انطوى الشعراء على أنفسهم يجترون

---

[1] – من الأدب الحديث – د. علي علي مصطفى صبح .د ، م ، ج ، ج . ص 52. الجزائر 1984

[2] – تاريخ الأدب الحديث. المرجع السابق. ص 62 .

الألم و الحزن و يعكسونهما على ما حولهم من الطبيعة ، فإذا هم رومانسيون في أشعارهم ن و في دواوينهم نفسها : فلأبي شادي " الشعلة " ،و " فوق العباب" . و لإبراهيم ناجي " وراء الغمام" ، و لعلي محمود طه " الملاح التائه " و لحسن الصيرفي " الألحان الضائعة " و لمحمود أبي الوفا " الأنفاس المحترقة " .

و يعتقد بعضهم أن الرومانسية في الوطن العربي بلغت ذروة مجدها في مدرسة أبولو .

*** صلة أبولو بالرومانسية .**

اتخذت جماعة أبولو الاتجاه الرومانسي في الشعر لأنهم ثاروا على التزام الكلاسيكية في القصيدة بالصياغة الجيدة و التعبير الفصيح و محافظتها على القواعد في الآداب القديمة و جعلها المثال المحتذى و إهمال العاطفة أمام القيود السابقة ن لذلك ثار الاتجاه الرومانسي على ذلك و نادى بتحطيم القيود الكلاسيكية ، و راعى العاطفة و الحرية و البساطة و الوحي و الخيال الشرود و الخروج على القواعد الفنية و اللغوية المتوارثة و الهيام بالطبيعة و الريف ، و الذاتية في الشعر ، و التحرر من أثقال المادة و الفطرة و الإلهام في الشعر و إشاعة القلق و الألم و الحزن و السام.

*** خصائص القصيدة عند مدرسة أبولو.**

1- التجربة الشعرية :

لم تعد القصيدة عند مدرسة أبولو استجابة لمناسبة طارئة أو حالة نفسية عارضة ، بل صارت تنبع من أعماق الشاعر حين يتأثر بعامل معين ، و يستجيب له استجابة انفعالية ، قد يكتنفها التفكير أو لا يكتنفها ، و لكن لا تتخلى العاطفة عنها أبدا ، كما يقول أبوشادي في ديوان " وحي السماء "- و هذا اتجاه رومانسي في القصيدة و في الانفعال بها ، و يقول ناقد هذه المدرسة ؛ و هو مصطفى السحرتي : إن القيمة الفنية للقصيدة هي في تواؤم تجربتها الشعرية مع صوغ هذه التجربة . و يمكن التعرف على التجربة الشعرية في قصيدة " العودة " لإبراهيم ناجي أو في قصيدة " المساء " لمطران أو قصيدة " الأشواق التائهة " للشابي ، من هذا المنطلق .

و من أجل ذلك حاربت هذه المدرسة شعر المناسبات ، و دعت إلى تمثيل الشعر لخلجات النفوس و تأملات الفكر و هزات العواطف ، كما دعت إلى الطلاقة و الحرية الفنية و ظهور الشخصية الأدبية ، و إلى الطاقة الشعرية الاتباعية ، و عملت على توكيد الدعوة إلى البساطة و صدق التعبير ، و طالما نادت بان الشعر بأحاسيسه و ارتعاشاته و نبضاته ، و من ثم لم يقبلوا على قصائد المدح و التكريم و المناسبات الطارئة.

2 – الوحدة العضوية :

و دعت هذه الجماعة إلى الوحدة العضوية في للقصيدة ، وليس المقصود بها وحدة الموضوع ، كما كان يفهم ذلك العقاد في كتاب الديوان ، حين نقد أحمد شوقي ، وعاب على قصائده هلهلتها و اضطرابها و تفكك أجزائها ، و

هذه الوحدة العضوية التي يفضل بعض النقاد تسميتها بالوحدة الفنية و التي هي اتجاه رومانسي واضح. فعند الرومانسيين أن القصيدة في داخل التجربة تصبح كل صورة من صورها بمثابة عضو حي في بنيتها الفنية[3].

و هي في نظرهم بنية عضوية حية ، تتفاعل عناصرها ، تمتزج بعضها بالبعض ، و تنمو العناصر نموا داخليا حتى يتكامل الموضوع ، و يتم على أكمل وجه ، و في أجمل نسق ، وذلك مثل الأعضاء في جسد الإنسان القوي ، النامي ، الحسن المنظر ، و تظهر في قصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي الذي يقول فيها[4] :

وهي تجسد معاناة شاعر فارق محبوبته .. في ألفاظ غاية في العذوبة والسلاسة

كتبها الشاعر إبراهيم ناجي عندما فارقته حبيبته، فقد غادر ناجي لدراسة الطب، وعندما عاد علم أن حبيبته تزوجت، وذات ليلة سمع طرقًا شديدًا على باب منزله، فقام من سريره ليعرف من الطارق، فكان رجلا يريد طبيبًا لمساعدة زوجته، التي كانت في حالة ولادة متعسرة؛ فأخذ ناجي حقيبته، وذهب مع الرجل إلى بيته، حيث كانت زوجته بوضع صعب، اقترب منها ناجي ليجدها حبيبته، وهنا كتب قصيدة الأطلال.

وتقع الأطلال في 130 بيت من الشعرمن الحسن والعذوبة شيئا كثيرا

يا فؤادي رحم الله الهوى ..... كان صرحا من خيال فهوى

اسقني واشرب على أطلاله..... وارو عني طالما الدمع روى

كيف ذاك الحب أمسى خبرا..... وحديثا من أحاديث الجوى

أيها الشاعر كم من زهرة .....عوقبت لم تدر يوما ذنبها.

فهو في ملحمته هذه نموذج لأصالته و شاعريته ، فهو يحكي قصة حبه الفاشل على لسان الريح التي تخيلها صاحب " الأطلال " تنصحه على التمادي في الحب المعذب بعد أن صار هو أطلال روح و هي – صاحبته – أطلال جسد.

3 – التعبير بالصورة :

إن أهم ما تطورت إليه القصيدة الجيدة هو انتقالها من التعبير بالألفاظ و الجمل إلى التعبير بالصور الشعرية و في هذا يقول إبراهيم ناجي: « الشعر موسيقى و خيال و إمتاع و صور ... و أما الصور الشعرية فنعني بذلك أنك حين تقرأ للشاعر قطعة من شعره يكون الشيء و كأنه مرسوم أمامك بوضوح شديد و مجسم اتجاه بصرك[5] » . و يقـول أيضا : « الأسلوب التصويري في مذهب الصوريين ، من مظاهر التطور في الأدب الأوربي الحديث ، و يبني

---

[3] – المدارس الأدبية – المرجع السابق، ص 227.

[4] – من الأدب الحديث ، علي علي مصطفى صبح . ص 54.

[5] – الدكتور نسيب نشاوي . المدارس الأدبية – المرجع السابق ص228.

الصوريون مذهبهم على أن الأدب يجب أ، يكون صورا متلاحقة » [6]، و لا شك أن ذلك كان نتيجة تأثرهم بالمدرسة الرومانسية الانجليزية في الشعر المعاصر.

4 – الطبيعة عند شعراء أبولو :

غالى الشعراء في حب الطبيعة حتى أصبحت عندهم الأم الرؤوم و الملاذ الذي يجدون السكينة في جواره ، بعيدين عن زيف المدينة و صخبها ، م هم لا يقبلون عليها واصفين ، و لا يصفونها مادحين ، و إنما يندمجون في روحها ، و يعانقونها عناق الأحباب و يصفون إحساسهم و مشاعرهم نحوها أكثر مما يصفون مشاهدها الجميلة ، و هذا اتجاه رومانسي واضح أجاده مطران و شكري و أبو شادي و ناجي و الشابي و علي محمود طه و سواهم من شعراء أبولو[7].

5 – الإيحاء في اللفظ :

لابد أن يكون اللفظ في الصورة عندهم موحيا تتعدد معانيه، و الكلمة مشعة ترسل خيوطها العميقة في كل مكان . فإن كثرة المعاني و الاتجاهات للكلمة الواحدة ، تكتب للقصيدة الخلود و تبقى حية متجددة تجد موقعا حسنا من كل قارئ ، فيفسرها حسب ذوقه و عمق فكره ، و لذلك بقيت قصائد شكسبير و غيره خالدة ممن اهتم بوحي الألفاظ ، و مثل قصائد : " رسائل محترقة" لناجي و "البحر و القمر" لعلي محمود طه، و قصيدة " مناجاة" للشابي التي يقول فيها :

أنت يا شعر فلذة من فؤادي * تتغنى و قطعة من وجودي
فيك ما في جوانحي من حنين * أبدى إلى صميم الوجود
فيك ما في طفولتي من سلام * و قنوع و غبطة و معود
فيك ما في شبيبتي من أمان * باسمات و من غرام سعيد
فيك ما في شبيبتي من قنوط * مدلهم و حيرة و جمود
أنت يا شعر صفحة من حياتي * أنت يا شعر قصة من وجودي

6 – صوفية الحب العذري:

و هذه النزعة في الحب ... عرفها شعراء أبولو و أخذوها تيارا عاطفيا يتمثل في فلسفتهم العاطفية المملوءة بالحب و الحرمان و الألم و العذاب و الضنى و الأرق ، فالحب عندهم متعة للروح لا للجسد.

---

[6] – دكتور علي علي مصطفى صبح . المرجع السابق ص54.
[7] - المرجع نفسه . ص 228.

7 – نزعة الحرمان :

سادت في شعر جماعة أبولو نزعة الحرمان و الندم و الحزن و السقم و الكآبة و الألم و الحديث عن الموت و الفناء و العدم إلى غير ذلك من ألوان التشاؤم و القلق و الحيرة و الدموع ضرورية للعبقرية كما يقول الأديب الفرنسي "اسكندر ديماس" و الحزن السامي يجعلنا نقدر اللذة ، كما يقول ألفريد ديموسيه و ذلك هو ما يقوله حسن كامل الصيرفي ، صاحب ديوان « الألحان الضائعة [8]» :

دموعي كنت آمالا * تمد القلب بالبشر
و كانت هذه الآما * ل كالأننغام في الفجر

7 – ثورة التجديد :

قام شعراء أبولو بثورة تجديدية كبيرة في بناء القصيدة الفني ، فأعلنوا الشعر الحر و احتفظوا بالشعر المرسل و نوعوا الأوزان و جددوا فيها ، و نادوا بتحرير القصيدة في شكلها و مضمونها و فكرتها و صورتها الموسيقية من قيود كثيرة و رددوا : مذهب الفن للفن و مذهب الفن للحياة ، و أن الشعر عاطفة و خيال و موسيقى و صورة و نادوا كما كان ينـادي " ورد زورث" بتجنب تلك التشبيهات التي كان يتوارثها الشعراء و طعموا شعرهم بألوان من الرمزية و السريالية و الواقعية .

هذه إذا هي أهم الخصائص التي اتسم بها شعر جماعة أبولو في انطلاقه و تجديده و حريته من القيود الكلاسيكية القديمة ، و ثار – حول هذه الخصائص بما فيها قضايا الأدب و مفاهيمه – جدل كثير بين الأدباء و النقاد ، و بعض هذا الجدل دار حول المذهب الأدبي و بعضه دار حول الشعر الجاهلي الذي كتب أحمد أمين عنه بعنوان (جناية الشعر الجاهلي على الأدب العربي) و رد عليه بعض الأدباء . و بعضه كان حول قضية اللفظ و المعنى . و اشتدت الخصومة آنذاك بين أبي شادي و العقاد و أنصار كل منهما ، و كان للعقاد آنذاك حزب سياسي يناصره و كان يرى أن و راء أبولو أيد سياسية [9].

[8] - د. نسيب نشاوي ، المرجع السابق ص 229.
[9] - المرجع نفسه ص 229.